براكين نائمة

احمد السنوسي*

■ يمكن لاسرائيل ان تضيف «فضيلة» اخرى من «فضائلها» الكبيرة على الانسانية، كونها ارست مدرسة جديدة من مدارس العلاقات الدولية. فأغلب الحروب كانت تشن من اجل الوصول الى التفاوض والحلول التي يحصل حولها نوع من التوافق، اما اسرائيل فانها تخوض حروبها وحروب غيرها من اجل ان يسود منطق المواجهة الدائمة اذ انها تتهيب من سلام دائم سيكون له مفعول مدمر على كيانها المزروع بالارهاب وبالقوة في جسد منطقة تلفظها، كما يلفظ الجسد البشري اي عضو دخيل عليه.

لذلك لم يكن مدهشا ان تسارع اسرائيل الى خرق الهدنة الهشة التي سعت اليها بكل قواها بعد ان اصيبت بعسر هضم هزيمتها التاريخية امام المقاومة اللبنانية، وهي انتكاسة لها اعراض جانبية على التماسك الوهمي لجبهتها الداخلية وتهدد بقصف رؤوس ساستها المحترفين بعد ان اصبح اداؤهم مرادفا للانكسار المبين.

واذا كان الصهاينة لم يهضموا الهزيمة، فان بعض العرب وقفوا مشدوهين، مذهولين امام هذا المعطى الجديد الذي استقبلوه كصاعقة لا يملكون اي استعداد نفسي او سياسي او ثقافي للتعاطي معها، اذ انهم سوقوا لثقافة النكبة والنكسة والهزيمة عربيا، ولم يؤمنوا يوما بأن اسرائيل قادرة بدورها على اعادة انتاج نفس السيناريو العربي. وكان بعض العرب في بداية الحرب بلبنان قد شربوا انخاب هزيمة المقاومة، وباعوا فرو الدب قبل ان يقتلوه.

وها هم اليوم يتخبطون في شباك واقع جديد بعد ان انساقت شعوبهم وراء النصر اللبناني الى درجة ان بعض الحكام العرب يعتبرون اليوم ان الشعوب العربية قد تحولت الى جنود احتياطيين للمقاومة وخلايا نائمة يقظة قادرة على الفعل.

ويبدو والله اعلم ان اصحاب اسطوانة «ضبط النفس» بالرغم ان الإفراط في ضبط النفس يؤدي الى الاختناق والموت السريري، بالاضافة الى دعاة نبذ «المغامرة» و«المقامرة» والتمسك بحبل التبصر والمسؤولية والحكمة في غياب دارها البغدادية. واصبحوا متشبثين اكثر من اي وقت مضى بأدبيات و«حكم» شعور الانحطاط من قبيل الصمت حكمة، لساني سبع ان تركته اكلني، اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، سألوا الفرن من اين جاءتك النار، قال من فمي، كلما فتحت فمي ملأه البعوض، اسمع فاعلم واسكت فأسلم... الخ.

نحن اليوم ولاول مرة لم نعد ظاهرة صوتية بل صوتا ينادي بحقه في المواطنة الكونية اي الحق في الاختلاف والتعبير الحر والتظاهر والمقاومة والتضامن مع قضايا عادلة مثل القضية الفلسطينية التي هي المحور الاساسي للمأساة البشرية في الالفية الثالثة. يبدو مرة اخرى ان اصحاب «الحكمة» «المباركة قد عادوا الى صف شعوبهم واقروا بان مقاومة المحتل والاحتلال حق مصون لكل الامم، وكأنهم اكتشفوا النار او سرا مكنونا من اسرار الكون. لقد كان حسن نصر الله يطلب من هؤلاء ان «يفكوا عنه» في وقت كانت اسرائيل تطلب من حلفائها واصدقائها الاكثر حميمية حكام «العروبة» ان يحموها من شعوبهم. لقد شاهدنا مظاهرات في مختلف انحاء المعمورة شارك فيها عرب ومسلمون وغيرهم نصرة للمقاومة اللبنانية، فيما منعت انظمة عربية ذات رصيد «نضالي» كبير شعوبها من التظاهر والتعبير عن ألمها في المرحلة الاولى وعن اعتزازها وافتخارها في المرحلة الثانية، بل ان الرصاص الحي واجه تظاهرات عفوية لشعب في الجزيرة العربية وهو رصاص لم يطلق ولو مرة واحدة ضد العدو الصهيوني، لقد كانت هذه المظاهرات مجرد تظاهرات سلمية عزلاء من كل سلاح، لكن الخوف كان ماثلا من ان «تنزلق» الشعارات عن سكتها اللبنانية لترتدي الازياء المحلية وتزيل الغبار عن البراكين النائمة. وتفننت وسائل الاعلام الرسمية في اختلاق مواضيع جديدة ذات طابع مخابراتي محض لتحويل انظار الجمهور، وتخويفه بفزاعات الهدف من اخراجها من الدواليب، اقناع الشعب بأنه مهدد من الداخل وان اسرائيل واسلحتها النووية ورديفها الامريكي لا يشكلان اي خطر ملموس. ولعل هؤلاء الحكام يراهنون على خطة جورج بوش اي ما يسمى بالحرب ضد «الارهاب» لالهاء الشعوب عن الاخطار الحقيقية التي تتهددها.

وقال احد حكام امارة عربية اخوتي لا تحزنوا فان المواسم الرياضية وبطولات كرة القدم، وسباق الهجن، في غياب بطولات حقيقية اخرى، لالهاء الرأي العام، حتى تمحي صورة المقاوم اللبناني وتندثر من الذاكرة الجماعية وسط عشب الملاعب ومدرجاتها وبعر الجمال، واضاف حاكم الامارة: ابشركم بقرب عودة سيقان وارداف المختصات في استنهاض همم «الزعماء» النائمة، الى الفضائيات التي غزونا بها الفضاء العربي.

فيما يراهن البعض الآخر من الحكام الذين بددوا ثروات شعوبهم هؤلاء الحكام الذين دخلوا منذ مدة طويلة غرفة الانعاش المركز الامريكية، في انتظار حقنهم بالمساعدات والصدقات والموارد المالية من رشاوى وعطايا التي لا يصادق الكونغرس على منحها لـ«الدول الصديقة» الا بطريقة ادخال واخراج جمل من ثقب ابرة، امعانا في اهانة «الاصدقاء» و«الحلفاء» الذين استبدوا بالحكم بدون استشارة شعبية تمنحهم الشرعية. والادهى من ذلك ان واشنطن لم تعد تتردد في التدخل من اجل تحوير المناهج الدراسية عندنا لتحذف منها بالحبر الاسود الجاف كل اشارة مسيئة لاسرائيل او للمصالح الامريكية، وكل اشارة الى امجاد عربية اسلامية غابرة، امعانا في محو مقومات هوية شعوب بأكملها، مرة باسم العولمة المنقذة من الغلال، ومرة باسم تحصين العالم من «الارهاب» الذي يراه جورج بوش حكرا على الاسلام دون غيره من الديانات والمذاهب والملل والنحل. وربما سيأتي يوم تتسلل فيه امريكا واسرائيل الى احلامنا لتعيد صياغتها بمقاييس هوليوودية وردية اللون حتى نصبح قادرين على ان نكذب على انفسنا في اتجاه المزيد من جلد الذات واستصغار القدرات وتذويب الارادة لكي نقبل وصاية الآخرين وكأنها قدر محتوم لا راد له.

ونجحت امريكا في اختراق وزارات الشؤون الاسلامية وسخرتها للتبشير بـ«اسلام» و«روحانيات» مهادنة لمصالح العدو، ترفع علم الاستسلام الابيض حتى قبل ان يتم اطلاق ولو رصاصة واحدة.

ان «الدويتو» الامريكي ـ الاسرائيلي لم يعد يكتفي بترديد اغنية احتلال الارض بل اصبح ينادي باحتلال الذاكرة وشغاف القلب وتحويل العرب الى امة بلا تاريخ، على صورة اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية اللتين ولدتا بعمليات قيصرية وخرجتا من خضم مذابح ومجازر هي كل تاريخهما وهويتهما ورصيدهما الذي لم يؤهلهما للتعامل مع باقي الامم كحاملة للقيم بل فقط كقناة لتمرير الهيمنة والتسلط ونهب ثروات الآخرين.

* فنان من المغرب

لنرسخ النصر بدلا من تبديده

عبد الرحمن مجيد الربيعي*

■ نحن امة ظامئة لنصر يشد من ازرها يجمع اوصالها المتناثرة، يعيد لها الثقة بنفسها!

لقد اخذتنا سنوات الهزيمة الطويلة، وبات الواحد منا ينهض من نومه وهو كالمضروب على رأسه، عيناه لا تريان الطريق، ولا يعرف أين يذهب، وماذا ينتظره. نحن ابناء امة كفت عن تقديم اي منجز، حتى لو كان ذلك في الكرة او الجري او الغناء، فكل شيء (دخل بعضه) كما يقول المثل التونسي البليغ.

نعم. نحن (داخلون بعضنا)!

لعل لنا بطولة واحدة لم ينافسنا فيها احد، هي بطولة (ادعاء البطولة) في خطب عصماء وتعاليق شماء وتحليلات ذات بها، في هوائنا وجرائدنا ونداواتنا وحواراتنا.

وبمرور السنوات ادمنا ما نحن عليه، وعشنا اغرب احباط عرفته امة من الأمم ونام في عسله شعب من الشعوب.

وبدأنا نراقب ما يحصل لنا واندلاع النيران في ثيابنا وكأن الامر لا يعنينا.

فلسطين جرى لها ما جرى ويجري لها ما يجري ونحن نراقب المشاهد الاكثر ايلاما وكأننا نتابع مشاهد فيلم واوداجنا منفوخة بدخان الشيشة التي تقرقر امامنا وتأخذنا الى سماوات الوهم.

والعراق بما حوى من مدن زينت صحائف الماضي بالمجد والسؤدد كبغداد والبصرة والموصل والانبار وذي قار وبابل يتحول الى محرقة وخرائب. وتتقطع المدن الفارعة العظيمة الى محلات تفصل بينها حواجز الاسمنت. وكل محلة لها انتماؤها الطائفي الذي تريده (نقيا صافيا) لا تشاركه فيه طائفة اخرى. كأن النموذج الصهيوني حاضر وماثل حيث العمل على دولة يهودية لا مكان لغير اليهودي فيها. في فلسطين والعراق دفع العرب افدح الاثمان واصبحوا مثالا في بيع بعضهم حتى لو كان هذا البيع لألد الاعداء ظنا من البائع ان قد سلم، ولم يدر ان يومه آت وان لا احد يسلم، وستتحول عواصم البلدان الكبيرة الى محلات مسوّرة يحكمها الفتوات والشقاوات (الباندية) ويفرضون عليها قوانينهم والكل تحت حذاء الغازي في المحصلة الاخيرة.

لن يسلم احد منا مهما قدم من خدمات فالمسألة اكبر واوسع.

واذا كانت (اسرائيل) القاعدة المتقدمة التي عهدت لها (زعيمة العالم حاليا بلا منازع) الولايات المتحدة الامريكية بعملية التفكيك والتقطيع والاذلال وزودتها باسلحة بعضها لم تدخله حتى في منظومتها التسلحية، فان (اسرائيل) هذه ظهرت وكأنها لا تملك اي وازع اخلاقي، لا بل انها لا تحمل ذرة من تقاليد المحاربين وفروسيتهم، فمن اين لهم هذا وهم سماسرة التاريخ الذين قدموا انفسهم وكأنهم الوحيدون الذين اضطهدوا ونالهم ما نالهم فابتزوا العالم بهذا اكبر ابتزاز رغم ان السؤال البريء وما دخلنا نحن بما جرى لهم في اوروبا؟ ولماذا جرى لهم؟ ولماذا ندفع الثمن الباهظ باقامة كيان لهم فوق ارض عربية حتى يوم يبعثون كما يقال؟

هذا الكيان الذي شكل (البعبع) الاعظم لاخافة العرب خاصة بعد تلك الحروب التي جرت وبعضها مرتجل والتي مارسوا فيها علينا استعراض قوتهم فدمروا وأذوا واحتلوا واسروا فكبرت عنجهيتهم واطلقت يدهم وحولوا حتى اراضي السلطة الفلسطينية التي جاءت باتفاق (اوسلو) الذي سرعان ما نقضوه وحاصروا من جاؤوا بموجبه وقتلوا منهم من قتلوا ولم ينج من السم حتى زعيم فلسطين التاريخي ابو عمار، فكأنهم بدفنه دفنوا اتفاق اوسلو الذي تحول الى خريطة طريق ثم (ممر في زنقة) وحتى هذا لم يتم.

اما في لبنان فقد عرف الاسرائيليون ما لم يعرفوه وتلقوا الدرس تلو الدرس وتأكدوا بأنهم اذا ما جوبهوا بمقاومة حقيقية لن يصمدوا او يثبتوا في الاراضي التي احتلوها في جنوب هذا البلد العربي العزيز، وظنوا انهم باقون فيها لا سيما وانهم قد شكلوا فيها كيانا هزيلا عميلا لهم، ووضعوا على رأسه خائنا منبوذا.

ولذا هربوا من ارض الجنوب عام 2000 او معهم هرب عملاؤهم وعاد اهل الجنوب الى ارضهم المحررة بهمة مقاومة مسؤولة وفاعلة، تعمل اكثر مما تدعي، وان وعدت وفت بما وعدت به.

اسرائيل تعيش هذه الايام ذل الهزيمة بعد ان ظنت بأن هجومها الاخير على الجنوب اللبناني وقواعد المقاومة فيه مجرد نزهة كما وعد رئيس اركان حربها سادته في البيت الابيض.

لم تفد طائراتهم ولا بوارجهم التي لحق ببعضها الدمار، ولأول مرة عاش سكان مدن الشمال التي يحتلها الصهاينة وهي مدن عربية تاريخا وحاضرا واسماء مثل عكا وحيفا ومدن اخرى، الخوف الحقيقي وعاشوا على مدى شهر في الملاجئ او هربوا بعيدا بحثا عن مكان لا تصله صواريخ المقاومة العربية اللبنانية.

وعرف الجيش الصهيوني وجنراالته ان عربداتهم الاولى انتهى زمنها، وان على الارض اليوم حسابا آخر فتحت صفحاته الاولى.

لقد ارادوا ان يوقعوا بين اللبنانيين عندما حولوا مدن لبنان الى انقاض واقاموا اكثر من مجزرة في قانا والشياح لخلق الانقسام والفوضى الداخلية ولكنهم لم يحققوا شيئا مما ارادوا.

واليوم والوطن العربي من مغربه الى مشرقه وهو يهتف لقائد المقاومة حسن نصر الله وينزله المنزلة اللائقة التي هو جدير بها حيث تزعمّ القلوب والضمائر وجاء في اوانه لينقذنا مما نمت فيه من تخاذل ويجعلنا نصحو من غيبوبتنا الطويلة، في هذا الوقت نسمع نغمات اخرى، تنطلق من هنا وهناك.

والغاية منها التشكيك في ما جرى، وغاب عن هؤلاء ان ما يفعلونه لن يكون في صالح لبنان ولا في صالح العرب جميعهم اذ انه سيمنح اسرائيل ما لم تحصل عليه في الحرب، ويقدم لها (نصرا) سياسيا او كما يقال (نصرا دبلوماسيا) مجانيا وينقذ زعماءها وجنراالتها من وحلهم.

وما نتمناه ان يتوقف هؤلاء وليدعوا سيد المقاومة ومن معه، وكذلك الرئيس لحود الذي اثبت وطنية عالية ليقوموا بدورهم ومعهم الزعماء الوطنيون اللبنانيون، ميشيل عون ونبيه بري وفؤاد السنيورة وآخرون فهم الاجدر وهم الاعرف!

هذا ما نتمناه وننتظره وعداه تبديد لدم الشهداء واضاعة للفوز البهي.

* روائي من العراق يقيم في تونس

الحرب السادسة ومفتاح الأسد

د. عبد العظيم محمود حنفي*

■ لاحظ الكثيرون أن عدد الملصقات والصور التي تظهر الرئيس السوري بشار الأسد وإلى جانبه كل من نظيره الإيراني محمود أحمدي نجاد وزعيم «حزب الله» حسن نصر الله، قد تضاعف في شوارع العاصمة السورية دمشق. وعلى امتداد المدينة كلها، ترفرف أعلام «حزب الله» خارج نوافذ السيارات المارة في الشوارع العامة، مما يثير التساؤل عن الخيار السوري في حل الأزمة اللبنانية أي فتح المخارج والحلول عبر مفتاح الرئيس بشار الأسد، لا شك ان لسورية تأثيرات سياسية مختلفة على العديد من الزعامات السياسية اللبنانية في مناطق حدودها وتتحكم بعدد من الأصوات الانتخابية وإذا رغبت فإنها تعطل المراقبة على طول حدودها مع لبنان وهي الحدود الوحيدة للبنان مع بلد عربي. وقد صادف أن سورية أقفلت تلك الحدود في أكثر من مناسبة لحمل لبنان على تغيير موقف سياسي أو لإخضاعه لمطالب معينة.. ولسورية علاقات مصلحية مع حزب الله وبعد الجلاء السوري عن لبنان في الثلاثين من نيسان (أبريل) من العام الماضي 2005، بعد ما يقارب الثلاثة عقود من وجودها في لبنان. ومن ساعتها لم يعد لها ذلك النفوذ الذي كان لها سابقاً على الساحة اللبنانية في مجملها.

من الملاحظات السابقة نستنتج أن لـ«حزب الله» نفوذاً ملحوظاً في سورية، وأنه يتمتع بدعم كبير من حكومة دمشق، فهل للرئيس بشار الأسد النفوذ ذاته على الحزب وزعيمه حسن نصر الله؟ وهل يستطيع الأسد لجم جماح الحزب وإقناعه بضرورة التفاوض على حل سلمي للنزاع، بدلاً من الاستمرار في طريق المواجهة العسكرية؟ يُذكر أن فيصل المقداد نائب وزير الخارجية السوري صرح، حول رغبة بلاده في إجراء محادثات مع الولايات المتحدة الامريكية بغية إيجاد حل للمواجهات الجارية بين إسرائيل و«حزب الله». وطبقاً لنص التصريح فقد جاء على لسانه قوله: «إن سورية مستعدة لمحاورة الولايات المتحدة الامريكية، استناداً إلى الاحترام والمصالح المتبادلة بين البلدين». يجدر بالذكر أنه ومنذ أن بدأت الحرب الإسرائيلية ضد ميليشيات «حزب الله» على أثر اختطاف الأخيرة لجنديين إسرائيليين في الثاني عشر من شهر تموز (يوليو)، بدأت واشنطن تدير نظرها إلى دمشق، باعتبارها طرفاً أساسياً في التوسط لإيجاد حل سلمي للنزاع. والمعلوم أن واشنطن تتهم دمشق بكونها راعياً رئيسياً لـ«حزب الله»، وبفتح حدودها أمام شحنات الأسلحة والعتاد الحربي الصادرة لميليشيات الحزب من الجارة إيران. ولكن السؤال الرئيسي الذي يثيره المراقبون والمحللون، مدى قدرة دمشق على صد «حزب الله»، المدعوم كذلك من قبل طهران، لا سيما في ظل تداعيات انسحابها من لبنان العام الماضي، تحت تصاعد ضغوط متواصلة من جانب الولايات المتحدة الامريكية والمجتمع الدولي؟ أنا مع الذين يرون أن الغرب يضخم كثيراً حجم النفوذ الذي تستطيع دمشق ممارسته على «حزب الله» إيران لها ذلك النفوذ لان إيران هي التي تسلح وتدرب وتمول ولهما نفس الخط العقائدي وصور الإمام الخميني والمرشد العام للثورة الإيرانية ترفرف في أرجاء مقرات حزب الله والشيخ حسن نصر الله حين يزور طهران يقبل في خشوع يد المرشد العام للثورة الإسلامية الذى صرح بأن الشيخ هو أحب الشخصيات إلى قلوب المسلمين، لذلك فهذه النداءات الموجهة إلى سورية بضرورة ممارستها المزيد من الضغوط على حزب الله، ليست في الواقع أكثر من مجرد حملة علاقات عامة تطلقها واشنطن. فسورية قد أضعفت كثيراً الآن، بينما يقف «حزب الله» طرفاً أقوى وأكبر سيطرة في هذه العلاقة غير المتكافئة. دمشق والإدارة الأمريكية تعيان ذلك ولهذا فان كوندوليزا رايس لم تكلف نفسها مجرد التفكير في زيارة سورية ومحاولة إشراك حكومتها في الخطط الهادفة إلى تسوية الأزمة الراهنة. كما أن السؤال المطروح بافتراض أن الحل هو مفتاح الأسد.

ما مصلحة الأسد في قبول دعوة مبهمة وغير مباشرة كهذه من قبل واشنطن، خاصة وأنها وباريس، كانتا رأس الرمح في الضغوط الدولية التي أرغمت سورية على الانسحاب من لبنان عقب اغتيال رئيس وزرائه السابق رفيق الحريري؟ انهم يلوحون انه في انتظار حكومة بشار الأسد مكاسب عظيمة فيما لو وافقت على التعاون المطلوب منها في لبنان. أقل هذه المكاسب أن تعود سورية مجدداً إلى الساحة الشرق الأوسطية بصفة اللاعب الرئيسي فيها. بل ترتفع وتعظم هذه المكاسب بصفة خاصة، فيما لو صحب اتفاق لتسوية الأزمة اللبنانية، سخاء عربي مدعوم بوعود أمريكية بالحفاظ على علاقات اقتصادية حسنة معها. وفي ظل ظروف كهذه ربما يبدي الإسرائيليون استعداداً للتفاوض مع دمشق حول استعادة هضبة الجولان، في الوقت الذي تطمئن فيه دمشق على استمرار سطوتها ونفوذها على لبنان.

لكن وفي المقابل ما هو الثمن الذي يتعين على سورية دفعه كي تفوز بكل هذه المكاسب؟ يجيبون انه ينبغي عليها المشاركة في عملية نزع سلاح «حزب الله»، ولعب دور أكثر إيجابية في إعادة بناء العراق ومنع تسلل المتمردين والجهاديين إليه عبر حدودها، إضافة إلى كسر التحالف القائم بينها وطهران. ولكي تتحقق كل هذه المطالب الصعبة المكلفة، فإن على إدارة بوش أن تأخذ بأهمية مكافأة سورية على تعاونها معها في حل الأزمة اللبنانية الراهنة. وهذا ما يتطلب إحداث تحول راديكالي في السياسات الامريكية الحالية إزاء سورية. ولكني أرى أنه مع الاعتراف أن قدرة سورية على التدخل في الشؤون اللبنانية الداخلية تبدو واسعة إلى حد كبير لكنها تبقى قدرة محدودة في بعض الحالات ومنها الحالة الحالية. وقد تمكن لبنان في ظروف سياسية معقدة في الستينات من تحجيم القدرة السورية على التدخل في الشؤون اللبنانية.. بل ووصل الأمر إلى حد استضافة لاجئين سوريين معادين للنظام الحاكم في سورية يومها واستطاع أيضا أن ينتهج سياسية اقتصادية لا مصلحة لسورية في انتهاجها واتخذ مواقف سياسية مناقضة لتلك السورية. فالمفتاح ليس في جيب سورية إنما في جيب آخر.

* خبير في الدراسات الاستراتيجية
مدير مركز الكنانة للبحوث والدراسات، القاهرة

مصطبة السيد ابو الغيط

فريد الجبالي*

■ شعور بالاشفاق دائما يتملكني وانا استمع لبيانات هذا الرجل، راجعا لإحساسي بانه ليس في مكانه الحقيقي، ولعل تفسير ذلك قد يكون اما لارتباط اسمه بالخضرة والنسيم العليل والخير الوفير بما يتعارض مع اجواء وظيفته والجو العام الذي يحيط بها، او لكونه مضغوطا عليه في العمل ومطلوبا منه ان يضع نفسه في قالب معين لا يتخطاه وبتعليمات متضاربة من الداخل ومن الخارج ذات خطوط حمراء لا يتعداها في بلد فقدت حكومته قرارها السياسي وتبدلت فيها الاهداف والرؤى حين اصبح العدو صديقا وصار الاخ عدوا.

التقيت به في اكثر من مناسبة منذ كنت اعيش بالمهجر الامريكي وكان اهمها حين دعيت لمقر بعثة مصر بمنهاتن بنيويورك، وذلك ضمن نشاط جمعيتنا التي اطلقنا عليها (المجموعة المصرية الامريكية) وكان سيادته يحاضر عن تاريخ ودور الجمعية العامة للامم المتحدة، وبعد الكلمة طلبت التعقيب على حديثه المطول وقد اعلنت خلال ذلك دهشتي من تعمده اسقاط دور دول عدم الانحياز ـ التي كانت تقودها مصر في ستينات القرن الماضي ـ وتأثيرها الكبير في قرارات الجمعية العامة لتعويض سيطرة الدول الكبري على مجلس الامن وهنا اتذكر رده لي حين قال: (ان هذه المنظمة ـ عدم الانحياز ـ قد ولى زمانها وانتهى دورها) قال ذلك وسط دهشتي ودهشة الحاضرين بسبب عدم مواءمة الرد لدور تاريخي كنا وما زلنا نفخر به واستطاعت مصر ـ من خلاله ـ ان تؤثر به في مختلف القضايا العالمية، ويبدو ـ طبقا لتفسيري ـ انه حاول تحاشي الحديث عن هذا الدور حتى لا يوصم بالناصرية او بعبد الناصر وهي الفترة التي استطاعت مصر ان يكون لها الدور الريادي في زعامتها لدول عدم الانحياز مع تيتو ونهرو وذلك ـ والله اعلم ـ تخوفا من عدم رضى اصحاب القرار عليه وايضا تحسبا لانتظار دوره في الوزارة.

كان ذلك في عام 2002 في الفترة التي تم اختيار السفير احمد ماهر بدلا منه خلفا للوزير عمرو موسى وكان هناك شعور ما بانه قد ظلم حينما لم تطبق عليه القاعدة باختياره للوزارة لكونه رئيس البعثة المصرية والذي عادة ما يهيئ تبوؤ منصبها الفرصة لهذا المنصب الرفيع كما هو متبع.

ساعدته الاقدار بتعيين احمد ماهر حين جاء بعد عمرو موسى بكاريزميته الشهيرة ـ والتي تغنى لها المطرب شعبلة ـ فجاءت صورته باهتة في ادائها وعطائها، ثم اكتملت حين ظلمه الاشقاء بما تلقاه من علقة ساخنة منهم في المسجد الاقصي حين شد الرحال الى ثالث الحرمين علي فاتورة رحلته ـ كما فعلها من قبل السادات ـ وذلك بحماية رسمية من جنود الاعداء فوقع في تناقض فادح لم يتنبه اليه فانهالت عليه الاحذية من كل صوب التي اصابت هيبة وزارة الخارجية المصرية ولطشت معاها بالطبع سمعة مصر، اثر ذلك الحدث، اقيل او استقال بسبب ظروفه الصحية، لا يهم... فالكرسي آنذاك قد صار شاغرا ومهيأ ..ولا يستحقه سوى ـ السيد ابو الغيط ـ رئيس البعثة وذلك طبقا للقاعدة المعروفة.

هلت علينا الاخبار مبشرة بالخير لاجادة الاستاذ ابو الغيط عمله مع بدايات تحمل اعباء منصبه خصوصا في تهيئة مكان العمل بنفسه فيما يتعلق بتنظيم الحدائق والاشجار وكل ما يرتبط باللاندسكيب الخاص بالوزارة مع ان مصر بها الكثير من المتخصصين والمبدعين في هذا المجال ولكن اثبت ابو الغيط انه رجل عملي وقدها وقدود طبقا للموهبة وايضا حتى يكون اسما على مسمى!!

ومن هذا المنطلق اشعرنا باهميته خصوصا انه كان دائما عازفا عن الحديث في كل اللقاءات الدبلوماسية وبالأخص في جميع المناسبات التي تجمعه مع الآنسة كوندي وهذه فضيلة كبيرة تحسب له، ولكنه اخيرا وتحت ضغوط كبيرة قرر ان يتكلم، ويمارس مهمة الكلام التي ممكن ان تعرض كرسيه للاهتزاز ..!! فجاءت الجمل والعبارات غريبة غير منسجمة مع بعضها.. وكأنه كان يقصها من الجرائد ويصنع بها كلمات وجمل مصححة، فقال مثلا ابان الحرب بين المقاومة المظفرة والصهاينة (ان الشعب المصري ليس على استعداد لأن يضحي بدمه من اجل العرب) مع انه محدش طلب منه قوات او سلاح وقد فاته ان يؤكد ان التضحية بالدم المصري فقط مخصصة من اجل الحفاظ على اطماع العم سام ومسموح فقط ان تراق بضرب الاشقاء في العراق، ثم (اراد ان يكحلها فعماها) حين صرح بعد انتهاء الحرب معللا لماذا لم تستدع مصر السفير المصري من اسرائيل، مثلما فعل شافيز رئيس فنزويلا الذي لا ينتمي للاسف ـ الى الاسلام او العروبة!! وكان هو الحد الادنى للمطالب الشعبية لحكومته فقال لا فض فوه «انه لا يمكن سحب السفير لأن له مهمة خاصة بحمل الرسائل واستحضار التقارير المتعلقة بالأمن القومي» من عند اولاد العم ... شركائنا في معاهدة الشالوم!

ترى هل هناك اقبح من هذا العذر..؟ لقد خانته دبلوماسيته .. واوقعوا به حين جعلوه يتكلم واخرجوه عن اسلوبه المميز والذي انفرد به، وهو ان يقول اي كلام غير مفهوم وبالتالي لا يستطيع ان يؤخذ عليه، والذي يتماشى مع كل الاطراف تماما مثل قرارات الامم المتحدة الذي يعتبركل طرف من الاطراف بنودها كلها تصب في صالحه هو.

في هذه المرة اتصور انها رسالة جاءته بالايميل او (اس ام اس) من الاسياد الذين اخترعوا الكويز لكسر ارادة الشعب المصري ضد التطبيع وتوهموا مع اشتعال المعارك ان هناك شرق اوسط جديدا، وحمد الله ان حمل الآنسة كوندي طلع مسخ وتم اجهاضه في شهره الاول من قبل سيد المقاومة الشيخ حسن نصرالله.

لا اتصور ان المحافظة على كرسي الوزارة يعمل كل ذلك في هذا الرجل الطيب المرتبط اسمه بالخير والخضرة وأيضا بالبلهاريسيا ونهيق الحمير!!! وايضا لا اتصور ان هذا الكرسي الذي جلس عليه الدبلوماسي العظيم محمود فوزي قد اصبح يلائم وزيرنا الكبارة الذي يحتاج الى كرسي اكبر ومرحرح، او بالأصح الى مصطبة واسعة تليق بمقام حضرته يستطيع من خلالها ان يحكي الحكايا عن اولاد العم ومزايا الشالوم والانبطاح او عن ايميلاته والشات ـ الدردشة ـ مع الكاوبوي بوش والانسة كوندي، ومغامراته الشيقة معهما هناك في الفورتي سكند ستريت بمنهاتن!!

* كاتب من مصر
faridelgebaly@yahoo.com

الحرب القادمة بين حزب الله واسرائيل

محمد خليفة*

■ انه بعث للانسانية وميلاد جديد للأمة وللشعب الفلسطيني الذي تحمّل شتى ألوان الضيم والمواقف المظلمة والعذاب في جراح الانسانية من تنكيل وتشريد وتدمير سواء في وطنه أو في المهجر وذلك بانبثاق بوادر النور بعد الانتصار المدوّي الذي حققه حزب الله على اسرائيل والذي أعاد للعرب كرامتهم المهدورة منذ اغتصاب فلسطين عام 1948 ووضع اسرائيل من جديد أمام حتمية الزوال، بعد أن تمكّنت على مرّ السنين الماضية من ترسيخ نفسها كجزء لا يتجزأ من جغرافية المنطقة وتاريخها، وذلك من خلال حروبها الخاطفة والقاهرة للعرب واظهار نفسها كقوة لا تُقهر ولا تغلب وأنها تستطيع اخضاع أية دولة عربية ترفع الصوت في وجهها.

نعم لقد غُلبت هذه القوة التي لا تُقهر، وتبدّل مصير المنطقة، فلم يعد مرهوناً بعد اليوم للارادة الاسرائيلية والأمريكية، بل لقد انقلب المشهد رأساً على عقب، وعاد للمنطقة العربية وجهها العربي والاسلامي المضيء.

انه نصر تاريخي بكل المقاييس، فلم يكن يتصوّر أحد في العالم أن ثلّة من المقاتلين المسلحين بالايمان الغامر، قادرون على هزم جيش جبّار وآلة عسكرية هائلة فيها أحدث ما ابتكرته تكنولوجيا الدمار والتخريب في مصانع الولايات المتحدة والغرب. فقد كان هناك اعتقاد واسع أن اسرائيل ستنتصر وستدخل بيروت وتقضي على حزب الله. لكن المفاجأة كانت عظيمة وغير متوقعة، فقد انجلت المعركة عن هزيمة منكرة لاسرائيل وعن نصر مؤزر لحزب الله.

قد لا يكون هذا الانتصار ساحقاً ماحقاً، لكنه حتماً يشكّل عنواناً لمرحلة جديدة قادمة مختلفة عن المرحلة السابقة. فلأول مرة أصبح في رصيد العرب نصر استراتيجي على عدوهم التاريخي، أضاف الى رصيد هذا العدو خسارة كبيرة. فقد سقطت اسرائيل وسقطت معها أساطير التوراة والتلمود، وتبيّن أن الأسطورة تبقى مجرّد أسطورة حتى لو شوهدت بالعين المجرّدة.

لكن هذا السقوط لن يبقى من دون هزات ارتدادية أي بمعنى أن اسرائيل التي شعرت لأول مرة، بأن مصيرها بات مجهولاً وأنها تسير نحو الموت الأكيد، لن تبقى من دون انتقام في محاولة منها لاعادة الوهج للمشروع الاستيطاني الصهيوني الذي لا يطيق الهزائم.

فهذا المشروع قام منذ البداية على أساس القتل والارهاب وحقق انتصارات عديدة على العرب مما دفعهم الى الاعتقاد بعدم جدوى الحرب مع اسرائيل وأن الخيار الوحيد أمامهم هو الاستسلام لها من دون قيد أو شرط.

وعلى وقع هذه الانتصارات صال الصهاينة وجالوا في المنطقة العربية وباتوا قاب قوسين أو أدنى من أجل اجبار كل الدول العربية على عقد معاهدات استسلام معهم من دون أن يتنازلوا عن أية أرض احتلوها أو اغتصبوها سواء في فلسطين أو في سواها من الدول العربية المجاورة.

ولذلك، فان هؤلاء الصهاينة لا يستطيعون أن يتقبّلوا فكرة الهزيمة، وهذا ما عبّر عنه زعيمهم ايهود أولمرت الذي قال عقب هذه الهزيمة، ان بلاده ستلاحق حزب الله في كل زمان ومكان وهي لن تأخذ الاذن من أحد. وأيضاً، فان حزب الله الذي انتصر في هذه المعركة يدرك جيداً أن اسرائيل لن تتركه وسوف تحاول الانتقام منه في المستقبل بهدف اعادة الحياة لمشروعها الذي مات.

وانطلاقاً من ذلك، فان ثمة معركة أخرى قادمة لا محالة، وأبسط الأمثلة على ذلك قيام قوات كوماندوز اسرائيلية بقتل ثلاثة من مقاتلي حزب الله في معارك مسلّحة في عمق شرق لبنان صباح يوم السبت. ولعل اسرائيل تعمل من الآن على دراسة أسباب الهزيمة، ولماذا كانت عاجزة عن تحقيق نصر واحد تستطيع أن تتباهى به أمام شعبها والعالم، ولماذا فاجأها بمفاجآته الكثيرة، ولماذا لم تكن قادرة على تقدير قوة حزب الله الحقيقية حتى وصلت الأمور الى ما وصلت اليه. وأيضاً فان اسرائيل سترى نفسها بحاجة الى تطوير جيشها وسلاحها وتحديث خططها لتتوافق مع خطط حزب الله.

وفي الوقت نفسه، فان حزب الله لن ينام على هذا النصر، وسوف يبدأ هو الآخر من الآن في التحضير للحرب المقبلة التي ستكون أكثر فتكاً وضراوة. كما أنه سوف يسعى لتطوير ترسانته العسكرية وتزويدها بمنظومات أسلحة حديثة وتطوير خططه الدفاعية مع الاستمرار في العمل بسريّة.

وسوف تحاول اسرائيل من خلال الغطاء الدولي المهيّأ لها، أن تفرض حظراً عليه وأن تمنع وصول السلاح اليه خاصة أن القرار الذي صدر عن مجلس الأمن والذي يحمل رقم 1701 يدعو في احدى فقراته الى منع ارسال السلاح الى حزب الله، وبالتالي، فان اسرائيل ستدفع حلفاءها الغربيين الى ممارسة ضغوط شديدة على سورية وايران لمنعهما من مساعدته عسكرياً. لكن ورغم كل ما قد يمارسه الغرب من ضغوط فانه سيحصل على السلاح الذي يريده، ولن ترى اسرائيل أمامها في الحرب المقبلة الاّ عدواً أكثر قوة وأكثر تصميماً على تحقيق النصر الحاسم عليها. هذا النصر الذي سيحطّم تلك الأسطورة التي انبعثت من بين ركام زمن مجهول، بفضل ايمان الشباب المتوثب بعقيدته وبالحق والجهاد والصبر المطلق مصحوباً بأنشودة الله أكبر التي تستثير فيه روح الشجاعة وتحضّه على القتال بكل ما فيها من معان ايمانية من أجل ميلاد جديد لحرية الأمة ومن أجل الرسالة الكبرى في الحياة وهي حرية الفكر والروح بما فيها من مفاهيم انسانية وأخلاقية تسمو فوق الوجود كله.

* كاتب من الامارات

عائدون...

الطاهر العبيدي*

الطفولة هي السفينة والقبطان والمجداف، هي رمز